المحاضرة الأولى: معنى الفلسفة وخصائصها

١- تعريف الفلسفة، وتشمل:
أ- أول تعريف للفلسفة.
ب- تعريف طاليس للفلسفة.
ت- تعريف المستعربين والمستغربين للفلسفة.

٢- خصائص الفلسفة الإسلامية، وتشمل:
أ- فلسفة مهجنة.
ب- فلسفة إلهية الطابع.
ت- التفاعل الإيجابي والانفتاح.
ث- خاصية النمو والتجدد.
ج- تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم.
ح- الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية

معنى الفلسفة

أولاً: تعريف الفلسفة:

١- أول تعريف للفلسفة وصل إلينا هو أن الفلسفة تعني: (حب الحكمة) وهي مأخوذة من الأصل اليوناني (فيلو) وتعني الحب أو الرغبة، و (سوفيا) وتعني الحكمة.

٢- عرفها الفيلسوف اليوناني (طاليس) بأنها: (معرفة أصل الأشياء)، بمعنى أن الفلسفة تبحث عن أصل الكائنات ومصيرها.

٣- وعرفت أيضا بأنها: (مجموعة أفكار متناسقة ومنسجمة، تعبر عن أيديولوجيا معينة في جوانب مختلفة: أخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية ...، والايدلوجيا تعني: النظام الفكري المجرد لتفسير الطبيعة والمجتمع والفرد.

٤- وعرفها المستعربين أو المستشرقين من الغرب أو الشرق، المشتغلين بها والقائمين على تدريسها بأنها: (ذلك التراث الفلسفي الذي أفرزته القريحة الفلسفية الاسلامية، في فترة من أعظم فترات ازدهارها الحضاري، وتفاعلها الخصيب المفعم بالنشاط والحيوية مع غيرها من الحضارات العظمى، التي كانت آثارها سائدة آنذاك، خاصة الحضارة اليونانية).

والذي نخلص إليه مما سبق أن الفلسفة: (حب عميق في نفس الإنسان لمعرفة خفايا الأشياء وأسبابها).

ثانياً: الخصائص العامة للفلسفة الإسلامية:

الفلسفة الإسلامية وكما عرفت سابقاً، وهي الفلسفة المدرسية الأكاديمية التي تدرس في الجامعات في الوطن العربي والإسلامي وكثير من الجامعات العالمية، تتميز بالخصائص التالية:

١- **أنها فلسفة مهجنة:** ونقصد بذلك أنها مزيج من الأفكار الإسلامية واليونانية فالعرق الفلسفي اليوناني فيها أوضح من أن ينكره المنكرون، ولقد تأثر الفلاسفة الإسلاميون من الكندي وحتى ابن خلدون- آخر لمعة في العقل الفلسفي الإسلامي- تأثروا بدرجات متفاوتة بهذا العرق الفلسفي اليوناني.

٢- **فلسفة إلهية الطابع:** ونقصد بذلك أن مبحث الذات الإلهية وأدلة وبراهين وجود الله تعالى وكيفية الصلة بين الله والعالم من جهة، وبين الله والإنسان من جهة أخرى، وهذه الخاصية واحدة من أهم وأبرز مباحثها، ولقد خصص الفلاسفة الإسلاميون من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وأبي البركات البغدادي- رحمهم الله-، خصصوا صفحات كثيرة للكلام عن صفات الله تعالى وصلته بالوجود، ولعل أبرز مثال للجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية هو الغزالي- رحمه الله-، وكذلك ابن خلدون وإن جاءت فلسفته مزيجاً من الإسلامية والعلمانية المادية، برغم ادعاء بعض الدارسين أنها كلها ذات صبغة إسلامية خالصة.

٣- **التفاعل الإيجابي والانفتاح:** لعله من الخصائص التي تجعل من الفلسفة الإسلامية كائناً حياً شديد التأثير فيما حوله، تلك الخاصية الإيجابية التي تجعل منها كائناً متصل الجسور بالتراث الفلسفي الإنساني أينما وجد، ولئن تأثرت الفلسفة الإسلامية بالتراث الفلسفي اليوناني أكثر من غيره، فذلك للخصائص الذاتية لذلك التراث والتي تجعله مؤثراً أكثر من غيره، ونقصد بذلك خصائص العقلانية والعلمية والموسوعية، ولكن الفكر الفلسفي الإسلامي تأثر ايضاً بفارس والهند، خاصة في مجال علوم الرياضيات، وكذلك التصوف والفلك والأخلاق والفكر الفلسفي الديني.

وكما تأثرت الفلسفة الإسلامية بالحضارات السابقة لها، فإنها كذلك أثرت أبلغ الأثر في الحضارة الغربية التي جاءت بعدها، خاصة في مجال المناهج والعلوم، وفي مجال الفلسفة الاجتماعية والقانونية، وفي مجال الحضارة بوجه عام، وما ذلك إلا لأن روح الفلسفة الإسلامية روح علمية موضوعية، قال- ﷺ-: ((الحكمة ضالة المؤمن))، وجاء في الأثر: ((خذ الحكمة لا يضيرك من أي وعاء خرجت)).

٤- **خاصية النمو والتجدد:** فالخصائص السابقة وخاصة خصائص التجريبية والتفاعل الإيجابي الموضوعي والجانب الإلهي فيها تتيح للفلسفة الإسلامية مجالات كثيرة، واتجاهات شتى للنمو والتنوع، وعليه فليست الفلسفة الإسلامية مجرد تراث اكتمل نموه وتوقف تطوره، ولكنه كائن حي نابض، يستعصى على عوامل الفناء والجمود والاضمحلال، ولهذا السبب فإنه وبالرغم من الأفول المؤقت لحركة الحضارة الإسلامية في مجملها فقد ظلت الفلسفة الإسلامية تمتد وتؤثر، وكان امتداد تأثيرها في أوربا على يد أبي الوليد ابن رشد وابن خلدون مثلاً، في ظروف كانت الحضارة الإسلامية تمر فيها بمرحلة أزمة واضمحلال، وإن فكر ابن خلدون وفكر الغزالي خاصة في مجال الأخلاق والتصوف ما زال إلى اليوم يمتد تأثيره إلى بقاع جديدة من العالم، تشهد بذلك حركة الترجمة النشطة لأعمال الغزالي- رحمه الله- في كل لغات العالم يوما بعد يوم، كم تشهد بذلك الاهتمام المتزايد بالدراسات القرآنية والدينية الإسلامية في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية مؤخرا.

٥- **تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم:** لعله من الواضح الجلي لكل دارس متأنٍ للفلسفة الإسلامية أنها كانت تزخر بالجديد في مجال المنهجية من أول وهلة، يظهر هذا جلياً ضيق الكندي بنظرة اليونان إلى فكرة اللامتناهي، ومن هنا جاء رأيه الذي لا يكاد يعرف الكلل أو الملل في إعطاء الدليل تلو الدليل، لتناهي الزمان والمكان والأجسام والحركة والكون كله ... تناهي كل شيء في هذا الوجود، وهكذا افتقاره لعلة غير متناهية، لأن ما كان متناهياً كانت له بداية في الزمان والمكان وفي الجسمانية والمادية، ولذلك كان محدثا وليس أزلياً، وما كان محدثا لا بد له من محدث، وهو الله تعالى الأزلي المتفرد اللامتناهي في الذات والصفات والأفعال.

وبلغت هذه المنهجية- في التصوف الفلسفي- كمالها عند أبي حامد الغزالي- رحمه الله- وذلك في اعتباره أن: (ما يأتي من الحس الباطن المتحقق والذي لا يتناقض لا مع الشرع أو العقل أو الواقع) معرفةً أو علماً لدنيا يقينياً، ومفهوم العلم اللدني- بهذا المعنى عند الغزالي- إنما هو امتداد للغواشي النورانية عند ابن سينا والتي تنقدح في القلب متى أصبح كالمرآة المجلوة بعد الارتياض الصوفي الناجح.

ولكن الغزالي- رحمه الله- بالطبع وضعها على أساس متين من نظريته العامة في التصوف والأخلاق، وبين أصولها في القرآن والسنة، ضمن فلسفة نورانية قرآنية مكتملة الأركان متينة البنيان.

٦- **الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية:** ومن خصائص الفلسفة الإسلامية هذا الاهتمام الواسع المترامي بالشؤون الاجتماعية والسياسية والإنسانية، ولا شك أن بذور هذا الاتجاه في الأخلاق والسياسة موجود أصلاً في الفلسفة اليونانية، ولكن وتعبيراً عن اهتمام الإسلام الكبير بالجوانب الاجتماعية والإنسانية، واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الفكر والدين والعقيدة، فإن الفلسفة الإسلامية ومنذ اهتمام الفارابي بالمدن الفاضلة وأضدادها من المدن الجاهلة والفاسقة والمتبدلة أخذت في إعطاء حجم أكبر للعلوم الإنسانية.

وجاء الغزالي- رحمه الله- وكان الجانب الأكبر من مجهوده الفكري والفلسفي متوجهاً إلى الإنسان والمجتمع، وإلى علوم الآخرة وهي العلوم الأكثر نفعاً في رأيه، وجاء اهتمامه ايضاً بالقلب وأحواله، وبالنفس وبالأخلاق والتصوف وعلوم الدين في إطار دينامي متوهج الحرارة في اهتمامه بمصير الإنسان ومصير النفس الإنسانية الأبدي، وأخذت العلوم النظرية تحتل مسافات أقل وأقل، وبينما أخذت العلوم الاجتماعية كفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ والدين والأخلاق واللغة تأخذ نصيباً أكبر.

وختاماً: أن الفلسفة الإسلامية تمثل جانباً عقلياً مهماً من التراث الفكري الإسلامي، ويرتكز هذا الجانب في الفلسفة الإسلامية بوجه رئيسي في المنهجية التي انتهجها فلاسفة الإسلام، في بناء ذلك الصرح العظيم الذي شيدوه في شتى جوانب المعرفة والفكر، وعندما نقول: فلاسفة الإسلام فنحن نضم إلى هؤلاء ليس فقط الفلاسفة الرسميين من أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، ولكننا أيضاً نضم إليهم المتكلمين وبناة المنهجية العلمية الدقيقة، من أمثال: جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، والبيروني، والخوارزمي، ومئات الأسماء الأخرى من الذين أسهموا في إثراء التراث العلمي الإسلامي في شتى مجالاته، بل إننا أيضاً نضم إليهم فلاسفة النحو واللغة من أمثال: سيبويه، والخليل بن أحمد، والفيروز آبادي، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.

المحاضرة الرابعة: حركة الترجمة والنقل

كان لحركة الترجمة التي قام بها علماء ومتخصصون في الترجمة من مسلمين وغير مسلمين دور كبير في ازدهار الحياة العقلية، ومن ثم ظهور الفلسفة في طورها الحقيقي بعد التمهيد لها بنشأة علم الكلام والتصوف، وقد بدأت حركة الترجمة منذ عهد خالد بن يزيد الأموي الذي يعد أول من أتجه نحو الفلسفة اليونانية والأخذ منها بترجمتها، وتبعه بعد ذلك المسلمون، فأمر يزيد بترجمة بعض الأبحاث الطبيعية والكيميائية، ويرجع الفضل للخلفاء العباسيين في تنظيم حركة الترجمة وتشجيعها، فقام الخليفة المنصور بتوسيع دائرة الترجمة، وتبعه ابناؤه وأحفاده وبلغ بها المأمون القمة، واستخدم العباسيون في الترجمة مترجمين من الفرس والهنود والصابئة والمسلمين والمسيحيين ممن كان لهم اتصال بالدراسات القديمة خاصة اليونانية.

مراحل الترجمة والنقل:

مرت الترجمة والنقل بمرحلتين هما:

أولاً: حركة النقل في العصر الأموي: تعد هذه المدة أو المرحلة التي استغرقت ما يقارب ستون عاماً المدة الأولى في تاريخ حركة الترجمة من السريانية إلى العربية، على أنه من المعروف أن العرب في هذه المدة عكفوا على شؤون الرئاسة والحكم، وفي الوقت نفسه كانت هناك حركتان ثقافيتان: الأولى تمثلت في تشجيع خالد بن يزيد للترجمة، والثانية: تمثلت في حركة التأليف في العلوم الإسلامية فاشتهر رجال من أمثال: الخليل بن احمد، وأبو الأسود الدؤلي... إلخ.

ثانياً: حركة النقل في العصر العباسي: تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: وهي تمتد من سنة: ١٣٦هـ إلى سنة: ١٩٨هـ؛ أي من خلافة المنصور إلى وفاة الرشيد، ومن أشهر المترجمين في هذه المدة (يوحنا البطريق ترجم كتاب اقليدس في الهندسة، وكتاب طيماوس لأفلاطون، وعبدالله بن المقفع ترجم كتب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، ويوحنا بن ماسويه ترجم الكتب الطبية القديمة مما عثر عليه في عمورية، وغيرها من بلاد الروم التي فتحها المسلمون، وكان رئيساً لبيت الحكمة ببغداد والذي أُسس سنة: ٢١٥هـ).

ويلاحظ في هذه المرحلة أنه قد بُدِءَ فيها بنقل الكتب العلمية في الهندسة، والرياضة، والطب، والفلك، وكذلك نقلت فيها كتب المنطق.

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة وهي تمثل عصر المأمون ازدهرت حركة الترجمة، وازداد النشاط العلمي، وترجمت الكتب في كل العلوم، وفي الأخلاق والفلسفة والنفسيات بعد أن كانت الترجمة قاصرة على كتب الكيمياء والطب، واشتهر من المترجمين في هذه المرحلة: (حُنين بن اسحاق المولود سنة: ١٩٤هـ، يقال أنه ترجم نحو مائة كتاب في الطب وترجم في المنطق والطبيعة ... الخ، ويوحنا البطريق الملقب بالترجمان وقد أقامه المأمون على ترجمة الكتب الطبية والفلسفية، ومن المترجمين ايضاً عبد المسيح بن ناعمة الحمصي وقد ترجم كتاب: ((أثولوجيا ارسطاليس)) وأصلحه الكندي للمعتصم العباسي، والكتاب ليس لأرسطو بل هو من عمل مؤلف سرياني مجهول.

المرحلة الثالثة (٣٠٠هـ- ٣٥٠هـ):

ومن أشهر المترجمين في هذه المرحلة: (أبو بشر متى بن يونس، أو أبن يونان، انتهت إليه رياسة المنطقيين، ترجم الكثير من الكتب لأرسطو وشراحه، كترجمة كتاب ((البرهان)) و((الكون)) و((الفساد)) بتفسير الاسكندر، ومن مترجمي هذه المرحلة أبو عثمان الدمشقي، وكان من المجيدين في النقل، إذ ترجم بعض كتب المنطق والهندسة، ومن المترجمين ايضاً أبو علي عيسى بن اسحاق بن زرعة أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة، اختص بنقل كتب أرسطو.

بواعث الترجمة:

رب سائل يسأل عن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمأمون إلى طلب نقل كتب الفلسفة بصفة خاصة رغم ما كان يشعر به عامة المسلمين من نفور ظاهر من الاشتغال بها وتناول قضاياها، إذ يشير المؤرخون إلى أسباب منها ما يلي:

١- تأثر المأمون بشخصية يحيى بن المبارك اليزيدي(ت: ٣٨٤هـ)، وكان هذا الرجل من شيوخ المعتزلة، ومن هنا نفهم كيف أقبل المأمون على كتب الفلسفة مشرباً بنزعة عقلية مبكرة، إذ كان منذ صباه متصلاً بشيوخ الاعتزال في عصره كأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام.

٢- يقال إن الذي دفع المأمون إلى طلب كتب الحكمة ليس اعتناقه لمذهب الاعتزال؛ بل هو منام رآه شاهد فيه أرسطو، إذ رأى في المنام رجلاً أبيض اللون، مشرب الحمرة، واسع الجبهة، حسن الشمائل، جالساً على سرير، فقال له المأمون: من أنت؟ قال: أنا أرسطو، قال المأمون: فَسُررت به وقلت: أيها الحكيم أسألك؟ قال أسأل، قلت: ما الحُسْنُ؟ قال: ما حَسُنَ عند العقل، قلت ثم ماذا؟

قال: ما حَسُنَ في الشرع، قلت ثم ماذا؟ قال: ما حَسُنَ عند الجمهور، قلت ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم، قلت: زدني، قال: عليك بالتوحيد، فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في اخراج الكتب وترجمتها.

٣- قيل إن المسلمين بدأوا في نقل الكتب العلمية التي لا تمس الدين وعقائده، فلما أطمأنوا إلى أنها لا تخالف الدين ولا تجرحه؛ وقدروا فضل العلم اليوناني في تثقيفهم، مالوا إلى نقل ما بقى من علومهم فاتجهوا إلى نقل الإلهيات.

٤- من المعلوم أن العلم يسير جنباً إلى حنب مع الحضارة، فلما تحضر العرب؛ ونقلوا العلوم التي تساعدهم على زيادة العمران واستتباب الأمن اتجهوا إلى الفلسفة، وهي علم يحتاج إلى فراغ من الوقت واطمئنان على العيش حتى يزدهر، والعلوم العميقة تأتي في مرتبة متأخرة من علوم الظاهر، وعلى ذلك فلم يطلب العرب في بداية الأمر الفلسفة إلا بعد أن توسعوا في العلوم، فتشوقوا للمتعة العقلية فأقبلوا على تراث اليونان.

نتائج حركة الترجمة والنقل وانعكاساتها:

أن العرب استفادوا كثيراً من نقل الثقافات الأجنبية إليهم، فقد عملت على اذكاء روح البحث والتأمل العقلي بينهم، فنشأة حركة فكرية جديدة متعددة النواحي دعتهم إلى التفكير في دينهم وفي كل ما يحيط بهم، وقد ظهرت من بوادر هذه الحركة نهضة لغوية كاملة، فتناول المسلمون اللغة بالدراسة العلمية المنهجية، ولا شك إن علم أصول الفقه وعلم الكلام قد استفاد كثيراً من المنطق أيضاً، وقد ظهرت هذه النزعة المنطقية في النحو والكلام في مدرسة البصرة، وهي أولى المدن الإسلامية التي ظهرت فيها بوادر التفكير الحر في العالم الإسلامي.

المحاضرة الثانية:
البواكير الأولى للفكر الفلسفي والعصور التي مرت بها

مرّت الفلسفة اليونانية بأربعة عصور وهي على النحو الآتي:

أولاً: الفلسفة اليونانية (الهيلينية).

ثانياً: عصر الفلسفة اليونانية (الهيلينستيّة).

ثالثاً: العصور الوسيطة: المسيحية، والإسلامية.

رابعاً: عصر الفلسفة الحديثة (عصر النهضة).

البواكير الأولى للفكر الفلسفي والعصور التي مرت بها

مرّت الفلسفة اليونانية بأربعة عصور وهي على النحو الآتي:

أولاً: الفلسفة اليونانية (الهيلينية):

لم تكن الفلسفة اليونانية حكمة يونانية خالصة، بل إنها تأثرت بحكمة البابليين في العراق، والفراعنة في مصر، إلا أن الفلسفة المنظمة هي من العقل اليوناني، وعلى أية حال فإن التفكير في الوجود وأصله، والإنسان ومصيره ظهر قبل اليونانيين، في مصر وآسيا الصغرى مثل: فيثاغورس، وديقريطس، وأفلاطون وغيرهم، وقد تأثروا بأفكار وعلوم أهلها إلا أن الفلسفة والعلم قد ارتقت على يد اليونان.

ومرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أدوار وهي:

١- النظر في الكون عند الفلاسفة الطبيعيين: لقد بدأت الفلسفة اليونانية بالبحث في الطبيعة أو العالم الخارجي، لأن الإنسان في انتباهه الأول يجد نفسه أمام الطبيعة، فيحاول أن يفسر حوادثها ويتعرف عليها، فالفلاسفة الأوّلون الطبيعيون أمثال: طاليس، واكسمندر، وانكسمانس، وهرقليطس، والفيثاغوريون علماء في الطبيعة، كانوا يضعون (الفروض) لفهم الطبيعة من حيث أصلها أو مكوناتها أو الأساس الذي لا يطرأ عليه التغيير، كقول طاليس:(إن أصل العالم ماء ...) إنهم بحثوا كذلك في عوامل التغيير التي تحدث في الطبيعة من نمو الأشياء وتطورها وموتها، وبهذا فإن أول ما توجه إليه اليونان القدماء هو الكون أو الطبيعة أو ما يسمى: (بالعالم الخارجي)، وكل ما يتعلق بالأفلاك وغيرها.

هذه هي الموضوعات التي تركزت عليها أفكار الطبيعيين من فلاسفة اليونان في مرحلته الأولى، وكان من أبرز الأسئلة أمام هؤلاء الفلاسفة الطبيعيين هي: ما أساس الأشياء التي تبقى بعد التغيرات التي تحدث؟

فأجاب طاليس من خلال بحثه عن أصل الكون أن الماء هو المادة الأولى التي صدرت عنها الكائنات، وإليها تعود الحياة تدور مع الماء وجودا وعدما، فتكون الحياة حيث الماء، وتنعدم حيث ينعدم.

إذن أصل نشأة الكون هو الماء عند طاليس، وهكذا يعد طاليس أول إنسان حاول أن يفسر الكون لا بالأساطير بل على أساس علمي، ومهما كانت فكرته بسيطة فهي المحاولة الفلسفية الأولى.

٢- **النظر في الإنسان (سقراط والسوفسطائية):** وفي هذه المرحلة من الفكر اليوناني أخذ التحول لا يميل إلى البحث في العلم الطبيعي، لذلك سمي هذا العصر بعصر البحث في الإنسان وكل ما يتعلق به من قضايا أساسية كالأخلاق والإرادة وغيرهما، وليس النظر في العالم الخارجي أو الطبيعة، ومن فلاسفة هذه المرحلة التي تَرَكَزَ فيها البحث في الإنسان هم: (سقراط، والسوفسطائية) في التوجه للبحث في الإنسان، ولكنه خالفهم في قولهم بالتغيير والنسبية، كما جاء في العبارة المشهورة لبروتوغوراس: (إن الإنسان مقياس الأشياء جميعا)، أما سقراط فيرى أن حقائق الأشياء ثابتة كالقيم الأخلاقية، وقد كان تأثير سقراط كبيراً على فلاسفة اليونان، فانقسم هؤلاء إلى مدرستين كل منهما فهمت توجه سقراط بطريقتها الخاصة، والمدرستان هما: المدرسة الكلبية وأسسها (أنتيسينيس)، والقورينائية أسسها (أرسطبس).

قد كانت الأخلاق مستحوذة على أفكار سقراط وسلوكه، فكان يرى أن الفضيلة هي غاية حياة الأنسان، وإن بعض أتباعه تأثروا بهذا السلوك وفسّروه بطلب اللذات وذلك عند القورينائية، وظهر اتجاه آخر من أتباعه الذين مالوا إلى التقشف كما كان يفعل استاذهم سقراط وهم الكلبية.

فالكلبيون: هم جماعة من المفكرين كانوا يتشبهون بسقراط في تقشفه الذي كان يسير عاري القدمين ويتحدث مع الناس في الأسواق، فكانوا يقلدون سقراط واختاروا الفقر كرها واحتجاجا على حياة الناس المبتذلة.

ولقد ثار الكلبيون ضد المجتمع بعاداته وانظمته، فقد رفضوا الملكية، والأسرة والمدنية، ونظروا إلى الناس بالتساوي، لا يوجد إنسان أفضل من آخر، ولا يجد مكان في العالم أفضل من آخر ... رفضوا أن تكون أرض (أثينا) أفضل من الأماكن الأخرى، وبهذا فإن آراء الكلبية (حول فكرة المجتمع الدولي الواحد) تعبر عن فكرة المواطنة العالمية.

والقورينائيـة: هـي المدرسـة الثانيـة التـي ظهرت متأثرة بسقراط، الذي كانـت (السـعادة) تحتل الصـدارة فـي فلسفته، وكـان يعدها هـي الغايـة التـي تستهدفها أفعـال الإنسـان، فرغب بعض تلاميذه بهذه الفكرة وأبـرزهم (ارسطبس)، فحوّلها الانصـراف عن حيـاة الزهد والإقبـال إلـى مبـاهج الحيـاة الحسية، فأنشأ مدرسة تبشير بهذه النزعة وهي (المدرسة القورينائية)، وقد نسبت هذه التسمية إلى قرية (قورينا) في إقليم برقة في ليبيا، وتسمى في الوقت الحاضر(شحات) وما زالت آثارهم إلى الآن تشهد إقامتهم فيها.

٣- البحث المنظم: تعد هذه المرحلة التي مرت بها الفلسفة اليونانية من أعظم المراحل، إذ برز فيهـا أبـرز فيلسـوفين فـي تـاريخ الفلسـفة اليونانيـة همـا: أفلاطـون وأرسـطو، وكانـت فلسـفتهم شـاملة ومنظمة عن العلم والإنسان .... إلخ.

بحـث هذان الفيلسوفان بحثاً منظماً وعلمياً شمل قضـايا الأخـلاق والطبيعـة والـنفس، ولا سيما أرسطو الـذي أشـتهر فـي تقسيمه للعلـوم، إذ خصـص لكـل علـم دائرتـه الخاصـة، فقد أخـرج نظامـاً للفلسـفة كـاملاً، بحـث فـي كـل فروعهـا فـي مـا بعـد الطبيعـة، والمنطـق، وعلـم الـنفس، والأخـلاق، والسياسة، والجمال ... الخ.

ثانياً: عصر الفلسفة اليونانية (الهيلينستيّة):

سمي هذا العصر بعصـر الفلسفة (الهيلينستيّة) لامتزاج الحضـارتين: الرومانيّة واليونانيـة، فقد صـارت اليونان جزءا من المملكة الرومانية، إذ استولى الرومان علـى (مقدونيا) وجميـع بـلاد اليونـان سنة: ١٤٦ ق.م، وانتقل بـذلك جزء كبير من الحضـارة اليونانيـة إلـى الرومانيـة، وفـي هذه المرحلـة انتهت مرحلـة البحـث المنظم إلـى مرحلـة تحصـيل العلـوم وسـعة الاطـلاع، أكثر منـه عصـر بحـث ونظر، وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت المدنيّة اليونانيـة في أرجاء العالم، وصـارت مركزاً للمدنيّة والعلوم والمعارف.

بعـد سـقوط بـلاد اليونـان فـي أيـدي الرومـان أدى بـالبلاد إلـى تغييـر تـام فـي السياسـة والعلـوم، فالنظـام السياسي للحياة اليونانية أخذ ينهار، والمبادئ الأخلاقية ضـعفت، واهتزت الديانـة اليونانيـة، كل هذه الأسباب جعلت الإنسان اليوناني يبحث عما يهديه في حياته، فلجأ إلى الفلسفة، وقد غلب البحث في هذه المرحلة على الأخلاق.

ثالثاً: العصور الوسيطة: المسيحية، والإسلامية:

١- **عصور وسيطة مسيحية:** يسمى هذا العصر عصر الفلسفة النصرانية في أوربا، إذ سقطت الدولة الرومانية وانهارت حضارتها المتأثرة بالحضارة اليونانية، وجاء سقوطها على يد (المغول)، بعد أن ضعفت، إذ أصابها الانحلال في قيمها الأخلاقية، فصارت لا تستطيع مقاومة الأمم القوية.

وأخذ المحتلون من الحضارة اليونانية والرومانية ومزجوها بأفكارهم المحدودة ثقافياً، وفي هذه المرحلة برز عدد من الفلا سفة المسيحيين الذين حافظوا على آثار العقل اليوناني من خلال استخدامهم للفلسفة والمنطق سلاحاً للدفاع عن دينهم، بعد أن كانت الكنيسة تضطهد آداب اليونان والرومان وعلومهم وتحاربهم، لأنها حددت دائرة الفكر في الديانة.

وظلت الفلسفة الغربية خادمة للدين قرون عدة، وكان من أبرز الفلاسفة المسيحيين في هذه المرحلة هو الأب (أوغسطين)(٣٥٤- ٤٣٠م) و (أنسلم) و (توما الاكويني)، وامتد هذا العصر إلى القرن التاسع الميلادي، والمرحلة المسيحية التي امتدت من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر لقبت بالعصر(المدرسي)، لأن التعليم كان يقوم به الرهبان في مدارس الكنائس، وقد أنشأ (شارلمان) كثيرا من المدارس في جميع أنحاء فرنسا فكان مدرسوها من رجال الكنيسة

٢- **عصور وسيطة إسلامية:** أما الفلسفة الإسلامية في العصور الوسيطة فكانت مختلفة عما هي عليه في أوربا، ففي الشرق كان التقدم العلمي والفلسفي مزدهراً، وكانت هذه المرحلة تسمى بـ(العصر الذهبي)، نتيجة التطورات التي كانت تشهدها البلاد الإسلامية في حينها، وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تخلو من اضطهاد لهذا العالم أو ذاك الفيلسوف إذ لم تكن أفكارهم تناسب مزاج بعض الأمراء.

ولا شك فإن مجيء الإسلام سنة: (٦١٠م) أحدث تغيراً في طرق الحياة والنظر إلى الأشياء في العلم نظرة مختلفة، فظل الدين يملك حياة الناس في الجزيرة العربية فكان ينظم حياتهم في السياسة والمجتمع جميعاً، وعلى هذا فإن (البحث العقلي) الفلسفي لم ينشأ بالمعنى الواضح، فكان المسلمون يتداولون في الأمور الدينية ثم إن الدين الإسلامي قد رفعهم إلى مقام أكبر في بناء الدولة والفتوحات وتأسيس دولة شامخة.

وفي الدولة الأموية كانت العلوم الدينية هي المعروفة، والتي تتضمن علم الكلام والإلهيات، فكانت أبحاثهم تدور حول مسائل منها: هل إن الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ أو ما يسمى (حرية الإرادة)، والكلام عن (مرتكب الكبيرة) هل هو مؤمن أم كافر؟ وانقسم المسلمون إلى فرق مختلفة، ولكنها كلها تدخل ضمن الجدل الديني والتي سميت بـ(علم الكلام) لأن مناقشتها وجدالها كان يدور حول كلام الله والمواضيع المرتبطة به.

أما في زمن الدولة العباسية فقد توسعت رقعت الأراضي الإسلامية وتكونت لها حضارة واسعة، واستفادت من فكر الفرس والروم والهند واليونان وعلومهم، فنشطت ترجمة العلوم اليونانية المختلفة في خلافة أبو جعفر المنصور، والرشيد، والمأمون، ومن جاء بعدهم، وترجمت كتب الفلسفة كالطبيعيات والإلهيات والأخلاق والسياسة، ومنه كتب أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم، وقد انكب المسلمون على دراستها وشرحها وإضافة الأفكار الجديدة إليها النابعة من الدين الإسلامي.

رابعاً: عصر الفلسفة الحديثة (عصر النهضة):

في هذه المرحلة ظهرت حركة فكرية وثقافية في أوربا الغربية في القرن الرابع عشر، وكانت موجهة ضد أفكار العصور الوسيطة المدرسية، وابتدأت النهضة في بعث العلم والفن والفلسفة اليونانية، وقد ظهرت واضحة في إيطاليا مجسّدة في (دانتي) و (دافنشي) وغيرهما، وقضت أوربا قرنين كاملين في ثورتها الفكرية، أو نهضتها التي أدت إلى الفلسفة الحديثة في القرن السابع عشر، حيث جاءت الفلسفة الحديثة رافضة للمدرستين، فدعت إلى حرية الفكر وإلى تحكيم العقل .. وتخلصوا من سلطة رجال الكنيسة وأرسطو في آنٍ واحد، ففصلوا الدين عن الفلسفة، وظهرت حرية الفكر، ووجهوا النقد لمثل أفلاطون وغيره، واتجهوا إلى البحث العلمي المستند على الملاحظة والاستقراء، ومن أبرز الفلاسفة في بداية الفلسفة الحديثة هم: (فرنسيس بيكون) و (رينيه ديكارت).

المحاضرة الثالثة:

دور القرآن الكريم في صياغة التفكير الفلسفي .

ويشمل:

أولاً: مكانة العقل في القرآن الكريم.

ثانياً: أهمية العلم ومكانته في القرآن الكريم.

دور القرآن الكريم في صياغة الفكر الفلسفي

إن الدين الإسلامي دين أهتم بعقل الإنسان وخاطبه، وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي تدعوا العقل الإنساني إلى النظر والتأمل والتفكر، مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾، ومثل قوله تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، وقوله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾، والقرآن مليء بمئات الآيات التي تخاطب العقل وتحثه على النظر في مخلوقات الله، وفي هذه الآيات وغيرها رد على هؤلاء المستشرقين الذين ادعوا أن القرآن يدعوا إلى الجمود والتخلف لا إلى حرية الفكر والنظر العقلي.

كما تدعوا الآيات القرآنية صراحة إلى العلم وقيمته وأهميته ومكانته عند الله تعالى، ومكانة العلماء أيضاً، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، وقوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾، فهل هناك تكريم وتشجيع للعلم أكثر من ذلك؟

ونوضح هنا نقطة هامة وهي التسليم الذي أجمع عليه بعض المؤرخين والفقهاء عل أن أهم ما يميز موقف السلف من الصحابة أنه لا يتعارض مع دعوة القرآن إلى النظر والتأمل والجدال، الجدل مع أصحاب الديانات الأخرى لإقناعهم بالدعوة، ولأن مصير الدعوة الإسلامية كان مرتبطاً بهذا النقاش والحوار والجدال لإقناع القوم للدخول في الإسلام لذا كان لابد منه.

أما الجدل الذي نهى الله ورسوله عنه فهو كثير، كالجدل في الذات الإلهية وصفاتها ووحدانيتها، وعلاقة الذات بالصفات، ولهذا ترى الصحابة- رضوان الله عليهم- قد انصرفوا عن الخوض في هذا النوع من الجدال، لأن إيمانهم بعقائد الإسلام كان قوياً وواضحاً، ولهذا فقد حدثت بعض المواقف لأصحاب رسول الله-ﷺ- في مثل هذا الجدل فكان تصرفهم تصرف العالم الحاذق، مثل ما حدث مع الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- عندما سئل: أين الله؟ فقال: (إن الذي أيَّن الأين لا يقال له: أين؟) فقيل له: كيف الله؟ فقال: (إن الذي كيَّف الكيف لا يقال له: كيف؟).

وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد–ﷺ– قال: (إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا)، وقال أيضاً: (تكلموا فيما دون العرش، ولا تتكلموا فيما فوق العرش، فإن قوماً تكلموا في الله فتاهوا).

وذكر عن الإمام محمد بن الحنفية–ﷺ– قوله: (لا تهلك هذه الأمة حتى تتكلم في ربها).

دور الرسول الأكرم محمد- ﷺ- في صياغة التفكير الفلسفي

كانت للنبي محمد- ﷺ- كل المؤهلات العقلية والفكرية التي لا توجد في أي عقلية أخرى من فلاسفة اليونان، فهو بحق أبو الحكماء، أي: أبو الفلاسفة، ودليلنا على ذلك أن الرسول- ﷺ- كانت لديه خصائص الموقف الفلسفي: الشك المنهجي، والموضوعية وهي عدم التأثر بالعواطف والمزاج الشخصي، والتجربة، والتحقق ... الخ، وهذه الخصائص وغيرها قد لازمت الرسول- ﷺ- فلو تتبعنا سيرته منذ نشأته لوجدناه لا يستريح لكل أو معظم سلوكيات وعادات أقرانه من نفس سِنِه، ولا من غير سِنِه، ولم يطمئن لما كانوا يعبدون من أصنام وأوثان، وانتابَهُ القلق والحيرة والدهشة والشك مما كانوا يعبدونه، وإن كان لا يصرح بذلك، فكان عليه الصلاة والسلام لا يجد فيها- الأصنام- فائدة ولم يطمئن قلبه لعبادتهم الآلهة، فأخذ يتجه إلى النظرة الكلية في خالق هذا الوجود، فاعتزل المجتمع في غار حراء يتأمل ويتفكر في الكون وخالقه، رافضاً كل عادات وتقاليد وعقائد المجتمع متحملاً في ذلك كل مشقة، إلى أن نزل عليه الوحي، وبعد نزول الوحي زاد في قلقه وحيرته- ﷺ- فذهب إلى زوجته السيدة خديجة- رضي الله عنها وأرضاها- فأخبرها الخبر، فما كان عليها إلا أن أخذته إلى ورقة بن نوفل ابن عمها، والذي أبلغ رسول الله- ﷺ- بأنه رسول الله حقاً، فآمن عند ذلك الرسول إنه على حق فيما كان يسلكه من رفض لهذه الآلهة التي كان يعبدها قومه.

وسلك الرسول- ﷺ- أسلوب الحكمة في الدعوة الإسلامية إلى آمن الآلاف من المسلمين، وهذا لأكبر دليل على إن البيئة العربية انجبت حكماء من أعظم الحكماء، كما انجبت البيئة الصحراوية الجرداء مئات من الصحابة الذين سلكوا مسلك رسول الله- ﷺ- في كل أمورهم ووقفوا مواقفه، فلم يؤمنوا بالرسالة إيمان الأعمى أو الجاهل بل إيمان العالم المتبصر الذي يسأل رسول الله- ﷺ- عن حقيقة هذه الرسالة، وعن حقيقة الإله الذي يدعوا إليه الرسول، فتلاحظ أنه لم يؤمن أحد إلا بعد المعرفة الحقيقية بالدين الجديد، فلا نجد مسلماً أسلم جبراً أو خوفاً ولا جهلاً بل آمنوا كلهم بحرية كاملة وبعد علم ويقين عن حقيقة هذا الدين.

أليس هذا يعد موقفاً فلسفياً حقيقياً من رسول الله وصحابته؟ فالتساؤلات الكثيرة التي كانت تدور في فكر النبي- ﷺ- عن حقيقة هذا الوجود، مَن خَلَقَهُ؟ وما حقيقته؟ والصحابة- رضي الله عنهم- وكيف أنهم لم يؤمنوا إلا بعد التأني والتروي والنقاش والحوار والجدال عن حقيقة هذا الدين وعن حقيقة هذا الإله، كل هذه العمليات وإن دلت على شيء فإنها تدل على أن هناك عقلية تفكر؛ لابل إنها تعمقت في التفكير، وهذا أكبر دليل على أن هذه العقلية تمتلك كل خصائص الموقف الفلسفي.

ما هو الفارق بين الهيلينية والهيلنسنية؟

وما هي ملامح الحضارة الهيلينية؟ وما هو الدور الذي لعبته الحضارة الإغريقية في نشر المسيحية؟

من أين جاءت كلمة (هيلينية)؟.. كلمة (هيلينية: Hellenism) جاءت من كلمة (هيلا: Hella)، وهو الاسم العُرفي الذي أطلقه اليونانيون القدماء على أنفسهم، فعُرفوا بِاسم: (الهيلينيين)، كما عُرفت بلادهم بِاسم بلاد (هيلاس Hellas)، وكلمة:(هيلينية) ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي، وهي تعبر عن الثقافة والحضارة اليونانية القديمة البحتة، فعندما غزا الإسكندر الأكبر بلاد الشرق وحمل معه هذه الثقافة والحضارة الهيلينية امتزجت هذه الحضارة بحضارات الشرق الروحية، وكان نتيجة هذا التزاوج بين الحضارتين الإغريقية والشرقية ولادة الحضارة (الهيلنسيّة)، ولذلك قال البعض بأن الحضارة الإغريقية مرت بمرحلتين: الأولى: المرحلة الهيلينية (هلينيك Hellenic) وهي الحضارة اليونانية الكلاسيكية وشملت بلاد اليونان، والثانية: المرحلة الهيلنستية (هلينستك Hellenistic) وشملت البقاع التي تألَّفت منها الإمبراطورية اليونانية.

وقد رفعت الثقافة والحضارة الهيلينية من قيمة الإنسان والإنسانية، كما ظهر في فلسفة سقراط وشعارها: (أعرف نفسك)، فالفلسفة الهيلينية فلسفة إنسانية محورها الإنسان، لا تنشغل بما هو ما وراء الطبيعة، إنما انشغلت بمشاكل الإنسان العويصة، وتم تهذيب الديانات اليونانية في ظل هذه الفلسفة الإنسانية، فبدلًا من تصوير الآلهة بأنها تتصارع وتتكالب فيما بينها، ظهرت الآلهة التي تتصف بالنبل والأخلاق الكريمة مثل كبير الآلهة: (زيوس)، ومثل: (هرقل)، ومن دراستنا لملامح الحضارة الإغريقية ندرك ما قامت به الثقافة الهيلينية من دور هام وبارز في دول حوض البحر المتوسط على مدار ثلاثة قرون لإعداد العالم لتقبل المسيحية ، فما صنعه الإسكندر الأكبر، وأكملته الإمبراطورية الرومانية من ربط العالم كله، ومد شبكة الطرق الضخمة، ونشر الأمان والسلام في ربوع العالم.. إلخ.، كل هذا يدخل ضمن الإعداد الإلهي لملء الزمان، ومن ملامح الحضارة والثقافة الهيلينية:

١ـ الانفتاح على العالم . ٢ـ اللغة الواحدة . ٣ـ شبكة الطرق. ٤ـ تقارب العبادات. ٥ـ المدن الإغريقية. ٦. الطبقيَّة . ٧ – الفَلَسْ الروحي.

١ـ الانفتاح على العالم:

فمع هذه الثقافة، اختفت الحدود والحواجز بين الدول، فقد قام (الإسكندر الأكبر) بمزج الحضارات معًا، فهو لم يكن قائدًا عسكريًا فذًا فقط، بل أنه تتلمذ على يد الفيلسوف اليوناني (أرسطو)، وكان عاشقًا للحضارة اليونانية التي تمثل قمة ما وصل إليه الإنسان، ولذلك بذل قصارى جهده ليشرك شعوب العالم في هذه الحضارة والثقافة الإغريقية، وسار خلفاؤه على ذات الدرب، وتواصل العمل من أجل وحدة العالم كله تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية التي توسعت في منح الجنسية الرومانية للعديد من المدن، التي صار لها نفس امتيازات روما، كما منحت الإمبراطورية الرومانية بعض المناطق الحرية في إدارة شئونها السياسية الدينية، وبلا شك أن هذا خفَّف من روح الصراع والكراهية والتنافس بين الشعوب المختلفة، كما أن نجاح الإمبراطورية الرومانية في صد الغزوات البربرية ساعد على حياة الاستقرار، وكل هذا كان له أثره الإيجابي في سرعة انتشار المسيحية.

٢ـ اللغة الواحدة:

صارت اللغة اليونانية لغة التفاهم في كافة ربوع الإمبراطورية اليونانية واستمرت هكذا مع الإمبراطورية الرومانية، وبالرغم من اللغة الأصلية لروما هيَ اللاتينية لكنها سمحت أن يتم التعامل الدولي باللغة اليونانية التي استقرت وأثبتت نجاحًا منقطع النظير، ففي أي مكان تذهب في أطراف الإمبراطورية تجدهم يجيدون اليونانية الشعبية، وبهذه اللغة كُتبت أسفار العهد الجديد كلها، فتلقفتها الأيادي في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

٣ـ شبكة الطرق:

أُنشئت شبكة طرق ضخمة تمهد الطريق للجيوش الرومانية لتصل إلى أي مكان، ولتربط العالم بروما، حتى قيل: **(أن كل الطرق تؤدي إلى روما)**، وساعدت هذه الطرق كثيرًا في تنشيط التجارة والانتعاش الاقتصادي وامتداد الحضارة وتنقل المواطنين من موطن إلى آخر، ولا سيما بعد القضاء على قُطَّاع الطرق والعصابات وقراصنة البحر الذين كانوا يسطون على السفن فيستولون عليها بما فيها ومن فيها، ويبيعون مستقليها عبيدًا، أما الإمبراطورية الرومانية فقد نجحت إلى حد بعيد في إرساء مبدأ سيادة القانون، كما أنشأت نظامًا بريديًا قويًا ومتقدم ساعد على تسهيل الاتصالات، ولا أحد ينكر أن هذه الطرق هيَ التي حملت أقدام المبشرين بملك السلام.. أو أليس هذا ملء الزمان؟!

٤ـ تقارب العبادات:

احتفظ الرومان بآلهة الإغريق مع تغيير أسمائها، فدُعيَ (زيوس) كبير الآلهة وأبو الآلهة لدى الإغريق (جوبتر) عند الرومان، و(أرطاميس) الإلهة العذراء دُعيت (ديانا)، و(أفروديت) إلهة الحب والجمال دُعيت (فينوس)، و(ديونيسيوس) إله الخمر والنشوة دُعيَ (باخوس).. إلخ.، وبهذا اندمجت الآلهة مع بعض كما انتشرت بعض الآلهة المصرية في الغرب تحت مسميات أخرى.

٥ـ المدن الإغريقية:

تم في بلاد الشرق بما فيها فلسطين تعمير بعض المدن وتجديدها على النظام الإغريقي، وأُعطيت المدن لقب (بوليس)، كما أُضيف اللقب لأسماء المدن القديمة، وأضيف لها مظاهر الحضارة الإغريقية من: جمنازيوم، وستاديوم، وأوديوم، وليكيوم، وأجورا، و(الجمنازيوم) هو المكان المخصص للألعاب الرياضية، و(الستاديوم) هو المدرج المفتوح لمشاهدة الألعاب الرياضية والسباقات، و(الأوديوم) مكان له سقف ومفتوح الجوانب به مدرجات للاستمتاع بالعروض المسرحية والموسيقى، و(اليكيوم) هو القاعة المخصصة للاجتماعات والمناظرات، و(الأجورا) هو الرواق

المخصَّص للاجتماعات السياسية وهو ملحق بإحدى الساحات، بالإضافة للأماكن الخاصة بسباق الخيل، ورمي القرص وقذف الرمح، وكانت تقام أربع دورات رياضية كبرى، وهيَ:

أ – الدورة الأوليمبية: في أوليمبيا تكريمًا للإله (زيوس) الأوليمبي.

ب – الدورة النيمية، في نيما تكريمًا للإله (زيوس) النيمي.

ج – الدورة الأسنمية: في أسثموس تكريمًا للإله (بوسيدون) إله البحار.

د – الدورة البيثية: في ألفي تكريمًا للإله (أبوللون) ابن الإله (زيوس): من الإلهة (ليتي).

٦. الطبقيَّة:

ساد الاستقرار السياسي في ظل الحضارة الإغريقية، لكن لم يكن هناك استقرار اجتماعي، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في مواضِع أخرى، لأنه ظهر في المجتمع طبقتين: **طبقة السادة الأرستقراطيين** الذين يتمتعون بالثراء الفاحش وعددها صغير، **وطبقة العبيد والأجراء والفقراء الكادحين** وهم الغالبية العظمى، وهم الذين يتحملون عبء العمل، بينما لم يكن من اللائق للرجل الروماني أن يعمل بيديه، فالعمل للعبيد الذين تضاعفت أعدادهم في روما نحو ثلاثة أضعاف الأحرار، وصاحب هذا انهيار القيم الإنسانية وانتشار الرذيلة، ولم تكن هناك ثمة حقوق تُذكر للمرأة، فدورها يقتصر على المنزل، وهيَ عديمة الأهلية القانونية، فلا تستطيع أن تدير أعمالها، ولا تُقبل شهادتها في المحاكم، ولا يُعتَرف بالعقود التي تبرمها، فهيَ دائمًا تحت وصاية الرجل سواء كان والدها أو زوجها أو أحد أقاربها، وسادت الدعارة، **وامتزجت بالطقوس الدينية الوثنية**، فمعبد (أرطاميس) كان به نحو ألف كاهنة تمارس العُهر المقدَّس مع رواد المعبد، ولعل ما سجله بولس الرسول في الإصحاح الأول من رسالته إلى رومية يعكس تلك الصورة المشوَّهة للمجتمع حينذاك الذي انتشر فيه التمييز بين الأحرار والعبيد، والرجال والنساء، وضاع حق الأطفال، حتى أنهم كانوا يسمحون بقتل الأطفال ذوي الحالات الخاصة، وسمحت شريعة (أسبارطة) للرجل بقتل ابنه الضعيف، فكانوا يلقون بهم من أعلى قمم الجبال، وقال الفيلسوف (سنيكا): (إننا

نُغرِق الأولاد المرضى والمشوهين والدميمي المنظر حتى لا تتعرض الدولة للخطر، وكذلك الأطفال غير الشرعيين أو أبناء المسنين أو الذين وُلِدوا لآباء أشرار فيجب تركهم عرايا لإبادتهم).

٧ – الفَلَسْ الروحي:

تصوَّر اليونانيون أن آلهتهم تعيش فوق جبل (أوليمبوس)، مثل البشر يأكلون ويشربون ويتزوجون وينجبون ويسعدون ويشقون ويتصارعون.. إلخ. فلا فرق بينهم وبين البشر إلاَّ أنهم خالدون، وهم يمثلون حكومة إلهيَّة يجلس على عرشها (زيوس) كبير الآلهة، وله تخضع كافة الآلهة والإلهات، ثم قيل أن اليونانيين قد تسلقوا جبل (أوليمبوس) فلم يعثروا على أحد من هذه الآلهة، فأحس الإنسان بمدى احتياجه للإله الحقيقي.

وأيضًا لم يجد الإنسان نفسه بين الفلسفات المختلفة، فلسفة (أرسطو) التي تدور حول ذات الإنسان، لم تشبعه، **والفلسفة الأبيقورية التي أسَّسها (أبيقور اليوناني)** (٣٤١–٢٧٠ ق. م) التي بُنيت على الاستباحة، فقال أبيقور: (أن الموت هو نهاية كل شيء، لذلك على الإنسان أن يعيش حياة اللذة والترف)، فأسلمت هذه الفلسفة أتباعها للمهانة والضياع الروحي، **أما الفلسفة الرواقية التي أسسها: (زينون)** (٣٣٥ – ٢٦٣ ق. م) الذي جاء من قبرص وعاش في أثينا، وأسس مدرسته الخاصة في منطقة Stoa Poikile، ومنها أُشتق اسم رواقي Stoa، فقد حكَّمت العقل وتمسّكت بالمبادئ الأخلاقية، حتى كان أهون على الرواقي أن ينتحر من أن يفقد احترامه لنفسه ولكرامته، ونادى الرواقيون بالمساواة بين العبيد والأحرار، ونال الرواقيون الاحترام اللائق للمجتمع، لكن هذه المبادئ الأخلاقية التي عاشوا بها لم تشبع أرواحهم الضالة بعيدًا عن خالقها، بالرغم من أن الفيلسوف اليهودي السكندري (فيلو) (٢٠ ق. م – ٥٠م) قال أن الأسفار المقدَّسة (للعهد القديم) والفلسفة الرواقية، كليهما ينتهي إلى نفس النتيجة فغضب منه اليهود.

وأيضًا من علامات الفلس الروحي ظهور (الديانات السريَّة) للتخلص من خوف الموت والسعي نحو الخلود من خلال ممارسة طقوس غريبة، ومن هذه الطقوس ما يشبه المعمودية، إذ يهبط

الرجل إلى خندق داخل أسوار المعبد وتسدل عليه شبكة، يذبحون فوقها ثورًا وينهمر دمه في الخندق، فيأخذ الرجل من الدم ويغمس سائر أعضائه، وهم يعتقدون أن حفرة الخندق تشير لمملكة الموت، ويمثل الثور الإله (أُتيس) ودماءه هيَ جوهر حياته الإلهيَّة، وعندما يخرج الرجل من هذه الحفرة فأنه يخرج مولودًا جديدًا ويُسقى لبنًا مثل المولود الجديد. كما كانوا يمارسون طقسًا آخَر وهو طقس (مأدبة القربان) ويشبه طقس العشاء الرباني.

ومهما اختلفت الديانات السريَّة في عقائدها وطقوسها، فالعامل المشترك بينها أن الإنسان يمثل عنصرًا إلهيًّا جاء من الإله (الروح) وسجن في سجن المادة (الجسد) لكي ما يتألم ويتعذب، فعلى الإنسان أن يسعى للتحرُّر والعودة للمصدر الإلهي من خلال بعض الطقوس الخاصة بالتطهير من الخطايا، والمشاركة في مائدة الإله، واختبار الموت والبعث مثل الآلهة التي تعرّضت للموت وبُعثت ثانية للحياة.